التّجريب البنيوي عند العرب- كمال أبو ديب أنموذجا-

Structural experimentation among Arabs- Kamal Abu Deeb as a model

الدكتورة: عثامنية أحلام

اللغة والأدب العربي-جامعة 8 ماي 1945- قالمة (الجزائر)

مخبر الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة

Athamnia.ahlem@univ-guelma.dz

تاريخ الإيداع: 2022/08/15 تاريخ القبول: 2023/01/1 تاريخ النشر: 2023/03/15

الملخص:

شهد الخطاب النقدي المعاصر تحوّلات كبرى وعميقة في العقود الأخيرة من القرن العشرين كانت ثمرة لانجازات علمية وفلسفية متلاحقة، فتحوّلت القراءات النصية النقدية من أفقية معيارية سياقية إلى عمودية نسقية تحاول سبر أغوار النص.

يُعدّ المنهج البنيوي من بين المناهج النقدية الحداثية التي تركز على النص نفسه، وذلك عن طريق تأمل الناقد لعناصر النص وطرق أدائها لوظائفها وعلاقتها ببعضها البعض دون أن يتجاوز حدود النص إلى أي موقع آخر.

وبهذا ستركز هذه المداخلة على ما مدى انتشار البنيوية في الوطن العربي، واستقبال النقاد العرب لها؟

الكلمات المفتاحية:

النقد الأدبي، المنهج البنيوي، النقاد العرب، كمال أبو ديب.

Abstract:

The contemporary critical discourse witnessed major and profound transformations in the last decades of the twentieth century, which was the fruit of successive scientific and philosophical achievements. Critical text readings were transformed from contextual standard horizontal into a hypothetical vertical that tries to explore the depths of the text.

The structural curriculum is among the modernist critical curricula that focuses on the text itself, by contemplating the critic of the elements of the text and its ways of performing its functions and its relationship to each other without exceeding the limits of the text to any other location.

Thus, this intervention will focus on how spread of structuralism in the Arab world, and the reception of Arab critics for it?

key words : Literary criticism, structural approach, Arab critics, Kamal Abu Deeb.

مقدّمـــــة:

إنّ البنيوية في أساسها نظرية في المعرفة، تؤكد أهمية النموذج، أو البناء في كلّ معرفة علمية، تجعل للعلاقات الداخلية والنسق الباطن قيمة كبرى في اكتساب أي علم، وهي كمنهج نقدي تركز على الأدب من حيث هو لغة خاصة، بنية تترابط عناصرها بحيث لا يمكن استبدال كلمة بأخرى أو حذف عنصر أو اختزال النص دون أن يختل، فالنص شبكة من العلاقات الداخلية الخفية التي تربط جملة الوحدات البنائية، واللغة الأدبية لغة بنيوية تختلف عن اللغة الفلسفية والدينية والعلمية التي يمكن استبدالها واختزالها لأنّها لغة اصطلاحية تؤدي معاني محددة، ويتمثل النقد البنيوي كمنهج لغوي في اكتشاف البنى أولا وتحليلها ثانيا بالتدرج من البنية السطحية من خلال المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية إلى البنية الدلالية العميقة. والمنهج البنيوي ليس منهجا متعاليا على النص كالمنهج الإجتماعي أو النفسي، وإنّما هو منهج محايث للنص، يتشكل مع عملية الاكتشاف والتحليل، وليس منهجا جاهزا يطبق على جميع النصوص بالتساوي، فما يصلح لنص ليس بالضرورة أن ينطبق على نص آخر.

إنّ الوعي الإجرائي كرؤية منهجية وكممارسة أدبية لا يخرج عن انغلاقيته إلا حينما يشتغل على الخطاب الأدبي موضوعا له، فهو يكتسب فاعليته عبر ملامسته لموضوعه، بيد أنّ هذه الملامسة متفاوتة الدرجات، فحدتها تختلف باختلاف مرتكزات الرؤية المنهجية؛ إذ أنّ القدرات والأدوات الإجرائية التي يتوصل إليها الناقد بواسطة وعيه الإجرائي، ومرتكزاته النظرية تظل نسبية قابلة للمراجعة، فهي تستدعي من كل دارس تطويرها فتكتسب أشكالا تتعدد بتعدد الدارسين، وهذا التعدد للأشكال يدل على خصب الرؤية المنهجية القابلة للتغيير كلما دعت طبيعة الخطاب إلى ذلك.

لذا فكما اختلف النقد البنيوي في الغرب كذلك اختلف لدى الدارسين العرب من حيث المنظور والطريقة والإجراءات.

فلكل دارس طريقته في تحليل الخطاب الأدبي، وإن كانت تتفق في بعض المنطلقات النظرية والإجرائية، فهي من حيث اهتمامها بالبنية من خلال التمييز بين العناصر المكونة للخطاب، وتستند إلى مفهوم النسق والسياق والتزامن، وعلاقات الحضور والغياب كما تهتم بهيمنة عناصر على أخرى في تحديد البنية المكونة لها دون اصدار أحكام جمالية.

ومن هنا يمكن أن نصوغ الإشكالية في التساؤل الآتي: فيما تتجلى الرؤية النقدية للتحليل البنيوي لدى النقاد العرب؟

شهدت الحركة النقدية المعاصرة مرحلة فريدة في تاريخها من حيث زحمة المناهج والتيارات، وزخم التحوّلات التي مرّت بها هذه القيم والمعايير السلوكية، فهذه التّحوّلات التي نتجت عن الانفتاح على قيم الآخر وثقافته، أدى بها إلى تقليد المنهج الغربي، وهذا يعود إلى أنّ بعض النقاد رأوا أنّ القديم أصبح ينهار، هذا ما أدى بهم إلى تبني مفاهيم وتيارات غربية، وذلك من خلال إعادة النظر في كيفية القراءة النصية التي تحوّلت من القراءة السياقية إلى النسقية وذلك من أجل سبر أغوار النص.

وهكذا" فإنّ انتشار البنيوية وهيمنتها على النقد العربي منذ سبعينات هذا القرن وحتى اليوم تأتي لتؤكد انبهار نقادنا ومفكرينا بكل ما هو غربي، والأهم ظاهرة الاقتطاف غير الواعي بخصوصية واقعنا الأدبي والاجتماعي ودرجة تطورهما، لكن الظاهرة البنيوية في نقدنا العربي لها أسسها المعرفية التي يمكن أن تتجلى بأمرين: الأول إحساس نقادنا بقصور المناهج النقدية السابقة وضرورة تجاوز المرحلة الانطباعية والتأثيرية في النقد، ويرتبط الأمر الثاني بأزمة الديمقراطية في وطننا العربي، ففي مثل هذه الأحوال تبدوا البنيوية وغيرها من المناهج الشكلية خير ملاذ للكثيرين من نقادنا ومثقفينا"[1]. يُعدُّ هذين العاملين اللذين ذكرناهما سالفا مادة أساسية في بروز البنيوية في وطننا العربي ورواجها، بيد أنّ ظهور هذه الأخيرة كان قبل السبعينات، فالستينات تعد مرحلة ارهاصات لها حيث اهتم فيها النقاد بتجريب النقد الغربي"

فقد كانت مرحلة انتقالية لا بد منها، اضطلع روادها بتعريب النقد الأنجلو أمريكي الجديد وتقديمه إلى الساحة النقدية العربية تحت تسميات مختلفة (النقد الموضوعي، المنهج الفني، النقد الجمالي، النقد التحليلي، التحليل اللغوي الاستاطيقي...)، وكان فارس هذه المرحلة (الذي لا يشق له غبار) هو الدكتور "رشاد رشدي" (1912-1983) الذي ناضل وعارك في سبيل ترسيخ النقد الجديد وتكوين خلف يحملون الراية من بعده، يمكن أن نسمي ممن آزروه أو تتلمذوا عليه (محمود الربيعي، مصطفى ناصف، محمد عناني، سمير سرحان، عبد العزيز حمودة...)"[2].

هذا يدل على أنّ النقاد العرب أعطوا مصطلحات مختلفة لمفهوم النقد الجديد، ويعود السبق في ذلك إلى رشاد رشدي الذي حاول ترسيخ هذا المصطلح وتبعه في ذلك العديد ممن تأثروا به، وهذا ما أعطى دورا كبيرا في تهيئة أجواء التلقي البنيوي، مع مطلع السبعينات" إذ بدأت هذه الجهود تؤتي قطوفها الأولى في بلاد المغرب العربي بصورة لافتة، كان كتاب الناقد التونسي "حسين الواد" (البنية القصصية في رسالة الغفران) هو أول الحصاد النقدي البنيوي وهو، أصلا، بحث أعد لنيل شهادة كفاءة في البحث، ونوقش في جوان 1972"[3]. ثم تلته جهود أخرى نذكر على سبيل المثال كتاب (في البنية الإيقاعية للشعر العربي) للمؤلف كما أبو ديب الذي أصدره عام 1974" ويأتي كمال أبو ديب في طليعة النقاد العرب الذين حاولوا تطبيق المنهج البنيوي وتطبيعه على طبيعة نصية مغايرة لطبائع النص الذي أنتجها في الغرب، وقد بدا ذلك واضحا في عقد السبعينات في كتاب وسمه أبو ديب (جدلية الخفاء والتجلي، دراسة بنيوية في الشعر"[4]. فقد حاول من خلال هذا الكتاب تقديم منهج جديد يضفي عليه طابعا تنظيريا وتطبيقيا على الرغم من اختلاف النصوص العربية عن نظيرتها الغربية، ويعد انجازا حقيقيا وذلك بتقديم خطوات جادة في سبيل التحليل العلمي المثمر للأدب العربي. كما أنه توالت أعمال نقدية منطلقة من الأساس البنيوي في الوطن العربي مثل كتاب "محمد رشيد ثابت (البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام) الصادر عام 1975" [5]، وكتاب الدكتور زكريا إبراهيم الموسوم بـــ(مشكلة البنية) إذ يعد" من أوائل الكتب العربية التي وضعت في التنظير للبنيوية، فقد أصدره عام 1976 انطلاقا من أنّ البنيوية أصبحت (اللغة الشارحة

لكل حضارتنا المعاصرة)، وأنّ إنسان القرن العشرين قد بدأ يعرف ذاته بأنها مجرد (بنية)، وأنّه هو نفسه إنسان (دال)، صانع معان"[6].

يعدُّ هذا الكتاب من بين المؤلفات التي أماطت اللثام عن مختلف العوالم المعرفية التي تشغلها البنيوية، كما نجد من بين النقاد الذين كتبوا في هذا المجال الناقد السوري "محمد عزام" الذي ألف كتاب عنوانه (بنية الشعر الجديد) الصادر عام 1976، وله أيضا (فضاء النص الروائي: مقاربة بنيوية تكوينية)، ولعل أول دراسة عربية انتهجت المنهج البنيوي هي الدراسة القيّمة التي تقدم بها الدكتور التونسي " عبد السلام المسدي" بعنوان " الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب التي نشرت عام 1977، مضافا إليها مجموعة بحوثه من " مفاعلات الأبنية اللغوية والمقومات الشخصانية في شعر المتنبي " وعرضه لكتاب ريفاتير (مقالات في علم الأسلوب الهيكلي- البنائي) ودراساته عن الجاحظ وأيام طه حسين "[7]. نجد هذا الأخير قد تحدث عن ماهية البنيوية في مقدمة هذا الكتاب بوصفها أنها ممارسة نصية تستهدف دلالات البنية من حيث شكل يقوم على مجموعة من الروابط والعلاقات الخفية، والواقع أنّ أخصب كتاب في حركتنا النقدية يتجلى فيما قدّمه الدكتور المصري صلاح فضل في كتابه (النظرية البنائية في النقد الأدبي) الصادر عام 1978 " والذي من خلاله أقام بتأصيل تفصيلي للبنيوية، والتي كانت لها بذورا قد غرسها الرواد الأوائل في الوطن العربي"[8] وعليه إذا قارنا بين هذين الناقدين زكريا إبراهيم في كتابه (مشكلة البنية)، وصلاح فضل في مؤلفه (نظرية البنائية) نخلص إلى أنّ الأوّل تطرق إلى البنيوية بصفة شاملة وأغفل المجال النقدي لها، على عكس صلاح فضل الذي خصص كتابه للحديث عن التنظير للنقد البنيوي بطريقة علمية جادة.

وفي خضم هذا" إذا ما انتقلنا إلى الثمانينات وجدنا البنيوية تنتشر في العالم العربي انتشار النار في الهشيم، بفضل المجلات النقدية مثل مجلة فصول المصرية، وعالم الفكر الكويتية وغيرهما من المجلات المتخصصة في العالم العربي، كما انتشرت بشكل واضح في بلاد المغرب العربي، وبلاد الشام باعتبارها من الدول الفرانكفونية والتي تأثرت أكثر ما تأثرت بالبنيوية الفرنسية بكل رموزها وأشكالها بسبب البعثات، والهجرات إلى فرنسا، أمّا في مصر

والخليج العربي فقد تنوعت الاتجاهات وتعددت المشارب والثقافات"[9]. يعود إذن فضل انتشارها في الأقطار العربية إلى المجلات المختلفة التي ظهرت خلال هذه السنوات، ومن نقاد البنيوية الذين ظهرت أعمالهم في الثمانينات نذكر على سبيل المثال الدكتور الجزائري " عبد الملك مرتاض " " الذي قدم في هذا المجال تسعة مؤلفات نقدية، يمكن الوقوف عليها مرتبة حسب تواريخ صدورها بالشكل التالي: الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث 1981، الألغاز الشعبية الجزائرية 1982، الأمثال الشعبية الجزائرية 1982، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ 1983، بنية الخطاب الشعري 1986، عناصر التراث الشعبي في اللاز 1987، في الأمثال الزراعية 1987، الميثولوجيا عند العرب1989، القصة الجزائرية المعاصرة 1999"[10]، فهذا الرائد مكنته ثقافته الواسعة من الاطلاع على المناهج النقدية الغربية والاستفادة منها حيث نجد أنه لا يكتفي بمنهج واحد بل يركب بين عدة مناهج في مؤلفاته وهذا ما عكس تجربته مع المنهج البنيوي، ومن المنظرين أيضا للبنيوية "عبد الفتاح كليطو" " في كتابه (الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي) الصادر عام 1982، وكتابه أيضا (الكتابة والتناسخ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية) الصادر عام 1985، وجدير بالذكر أنّ هذا الناقد قد عبّد طريقا أمام غيره من الباحثين العرب الذين تأثروا به واستفادوا من منهجه، وساروا على طريقته، ومن هؤلاء الأتباع: الناقد السعودي "عبد الله الغذامي" والنقاد المغاربة " محمد مفتاح" و"سعيد يقطين" و" محمد مشبال" في كتابه (بلاغة النادرة)، والباحثة المصرية "نبيلة إبراهيم" والناقد العراقي "عبد الله إبراهيم"[11].

وعليه فإننا سنلقي نظرة خاطفة عن رواج البنيوية التكوينية في الوطن العربي، التي تبناها العديد من النقاد العرب" قد هللوا لعالم البنيوية تنظيرا وممارسة، ويأتي في مقدمة أولئك المهللين والمكبرين الناقد المغربي "محمد بنيس" في كتابه (ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب مقاربة بنيوية تكوينية)، الصادر عام 1977، ويمنى العيد في كتابها (في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي) الصادر عام 1983، وفي مقابل ذلك كتب حميد لحميداني (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية)، الصادر عام 1984، وثمة دراسة بالغة الأهمية ظهرت

قبل كتاب يمنى العيد وهي دراسة "سعيد علوش " الموسومة بـــ(الرواية الأيديولوجية في المغرب العربي)، الصادر عام 1981"[12].

هؤلاء هم أبرز الأعلام الذين تبنوا البنيوية التكوينية تنظيرا وتطبيقا، وإن كان أغلبها لم يكن مخصصا للحديث عن البنيوية وحدها، ومن ذلك نذكر المحاولة الرائدة ل عبد الله محمد الغذامي" في كتابه (الخطيئة والتكفير) الصادر عام 1985 " تحدث فيه عن البنيوية والسيميائية والأسلوبية والتشريحية، حديثا نظريا مرفوقا ببعض الإجراءات التطبيقية والتي تثبت كفاءة الغذامي وجرأته النقدية"[13]، على الرغم من ذيوع هذا المنهج في وطننا العربي إلا أننا نجد أن هناك اختلاف بين مختلف الرواد الذين تبنوها فكل له وجهة نظر خاصة به في تحديد هذا المصطلح، فقد اختلفت ترجماتهم لمصطلح البنيوية وذلك حسب المكون الثقافي الذي تبناه كل ناقد وهذا ما أدى إلى " تنازع البنيويين العرب تنازعا كبيرا في ترجمة المصطلح structuralisme، فإذا نحن أمام ما يناهز العشر ترجمات (البنيوية، البنوية، البنائية، الهيكلية، التركيبية، الوظيفية، البنيانية...)"[14]. إلا أنّ المصطلح الأكثر شيوعا وذيوعا يتمثل في البنيوية.

مفاهيم البنيوية عند العرب:

تعد قضية إضفاء الموصوف المنهجي من بين القضايا الكبرى التي طرحت على بساط النقد العربي المعاصر في صورته الاحترافية، فقد اختلف نقادنا المعاصرون في قضية البنيوية كونها منهجا أو نظرية أو فلسفة أو مذهب، وهل هي تيار أو اتجاه أو مدرسة.

من خلال ما تم الإطلاع عليه من مؤلفات نلمح أنّ الناقد المغربي محمد بنيس في كتابه (ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب) في حديثه عن البنيوية، يستعمل تارة كلمة اتجاه في كلامه عن الاجتماعية الجدلية، وكلمة تيار تارة أخرى، كما يستعمل لفظة منهج حينما يتحدث عن "غودلمان" معنى هذا أنه لا نجد له تحديد ثابت بالنسبة للبنيوية، على غرار ذلك نجد عبد الله الغذامي قد اعتبر البنيوية منهجا" البنيوية من واقعنا ليست منهجا، وما هي بنظرية وليست فلسفة، ولكنّها منهج، ومن حيث كونها منهجا فبالتالي أداة للرؤية، أنّها شيء خاضع لمستخدمها، المستخدم هو الذي يستطيع أن يجعلها مفيدة أو غير مفيدة"[15]. نجده قد اتفق مع العديد من

النقاد الذين يصفون بأنها منهج أمثال: فاضل ثامر، يوسف وغليسي، عبد الله إبراهيم، فحين ذلك هناك من يستخدم مصطلح النظرية، وهذا ما يظهر جليا في كتابه (النظرية البنائية في النقد الأدبي) وهذا ما يصرح به في مقدمة كتابه حين يقول" مضى عامان منذ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب، تحقق فيهما شيء مما كنت أطمح إليه من إثارة الاهتمام بالمناهج النقدية الحديثة عموما وبالنظرية البنائية وامتداداتها التطبيقية على وجه الخصوص"[16]. أمّا عبد السلام المسدي هو الآخر يتردد في إضفاء مصطلح البنيوية، نجده يستخدمها على أنّها منهج ومرة بصيغة النظرية" استقامت منهجا في تناول الظواهر أكثر منها شيء آخر"[17].

كما يعتبرها في موضع آخر نظرية حين يقول:" غير أن البنيوية بالنسبة إلى الأدب كانت دائما نظرية، ولم تكن أداة علمية، فهي كما يقول أحد المعجبين بها ليست منهجا لإيجاد تفسيرات جديدة ومدهشة للأعمال الأدبية وإنّما هي باب من التفكير يتساءل كيف يمكننا الوصول إلى دلالات الأعمال الأدبية"[18]، إضافة إلى هذا فإنّ الدكتور زكريا إبراهيم يعتبرها سيدة العلم والفلسفة وذلك في كتابه (مشكلة البنية)، فمن خلال وفرة الأثر الأدبي وتنوعه جعل النقاد يختلفون في تحديد مصطلح البنيوية، وذلك من حيث هي اتجاه، أو نظرية، أو منهج، أو فلسفة...إلخ وتتمة لهذا فإنّنا سنقوم بعرض بعض التعريفات التي توضح ماهية البنيوية عند العرب، وفي بادئ الأمر سنوضح كيف عرفها عبد السلام المسدي بقوله" ليست علما، ولا فنا معرفيا وإنّما هي فرضية منهجية، قصار ما تصادر عليه أنّ هوية الظواهر تتحدد بعلاقة المكونات وشبكة الروابط أكثر ممّا تتحدد بماهيات الأشياء، ولما كان النص مقصدا من مقاصد البنيوية، وكانت البنيوية منبعا خصبا للرؤية الموغلة في التجريد الشكلي إلى حد التوسع بأساليب المنطق الصوري أحيانا فقد قامت بعض المناهج في النقد العربي تمارس الخط البنيوي وتستوحي اللغوية في بناها الشكلية فامتزج الصوري بالأسلوبي واشتبها الأمر على الكثيرين"[19]. من هذا المنطلق نتوصل إلى فكرة مفادها أنه مجرد فرضية منهجية تدرس عمق النص بعيدا عن أية عوامل خارجية وهذا ما تراه الناقدة نبيلة إبراهيم بقولها" أنّ المنهج البنيوي يعتمد في دراسة الأدب على النظر في العمل الأدبي في حد ذاته بوصفه بناء متكاملا

بعيدا عن أية عوامل أخرى أي أنّ أصحاب هذا المنهج يعكفون من خلال اللغة إلى استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية التي تحرك العمل الأدبي"[20].

فالبنيوية حسبها ما هي إلا دراسة مستقلة عما حولها تهدف إلى البحث عن الوظائف الجوهرية في اللغة، وتكملة لذلك نجد" فائق مصطفى" وعبد الرضا" يعرفانها على أنها منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي العناصر المتحدة قيمة، ووصفها في مجموعة منتظمة ممّا يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة"[21].

وفي سياق التعريف السابق فإنّها تهتم بدراسة العلاقات في ظل مجموعة متحدة ذات معنى.

نلاحظ ممّا سبق تعدد التعريف لمصطلح البنيوية عند العرب وهذا نتيجة غياب تعريف موحد هو غياب الترجمة الموحدة للمصطلح نفسه، إلى جانب اختلاف التكوين الفكري والعلمي لمن يقوم بترجمة هذا المصطلح، لذلك كان من الطبيعي أن يختلف مفهوم مصطلح البنيوية من ناقد لآخر.

البنيوية عند بعض النقاد العرب (كمال أبو ديب أنموذجا):

عندما يذكر اسم كمال أبو ديب أمام أي قارئ أو باحث يتبادر إلى الذهن مؤلفيه (جدلية الخفاء والتجلي) و(الرؤى المقنعة) اللذين تناول عبرهما بعض الدّراسات البنيوية لنصوص الشعر القديمة والحديثة، التي أثارت جدلا واسعا في الساحة النقدية العربية ذلك الوقت حيث نجد أنّ مصطلح البنيوية قد استهل به كتابه (جدلية الخفاء والتجلي) فهو يعدها بأنّها" ليست فلسفة، لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود، ولأنّها كذلك فهو تثوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم وموقعه منه وبإزائه في اللغة، ولا تغيّر البنيوية اللغة، وفي المجتمع، لا تغير البنيوية المجتمع، وفي الشعر لا تغيّر البنيوية الشعر، لكنّها بصرامتها وإصرارها على الإكتناه المتعمق، والإدراك متعدد الأبعاد، والغوص على المكزنات، تغيّر الفكر المعاين للغة والمجتمع والشعر وتحوّله إلى فكر متسائل"[22]. معنى هذا أن أبا ديب يُخلص البنيوية من الجذور الفلسفية

ويجعلها ذات صبغة منهجية فهي بذلك لا تغيّر اللغة ولا الشعر ولا المجتمع، لكن جديتها في النظرة المتعمقة وغورها على المكونات الأساسية للأشياء التي تنشأ بينها استطاعت أن تغير في هذه العناصر الثلاث سابقة الذكر من فكر المعاينة إلى فكر التساؤل.

سعى كمال أبو ديب كما زعم إلى جعل البنيوية منهجا فعالا يمكن من خلاله معرفة جدلية الخفاء والتجلي الذي نعني بهما أنهما يستخدمان بوصفهما متعارضين سيميائيا في مجال السرد، وهما يقابلان ثنائية" الصمتية/ المباشرة ". كما أنّهما يدلان على البنية العميقة والبنية السطحية عند كمال أبو ديب" الذي حلل تفاعلاتهما وتكاملاتهما في النص الشعري خاصة وفي الفكر والثقافة والاجتماع عامة"[23]. فقد حاول كمال أبو ديب " تغيير الفكر العربي في معاينته للثقافة والإنسان والشعر، إلى نقله من فكر تطغى عليه الجزئية والسطحية والشخصانية إلى فكر يترعرع في مناخ الرؤى المعقدة، المتقصية، الموضوعية، والشمولية والجذرية في آن واحد: أي إلى فكر بنيوي لا يقنع بإدراك الظواهر المعزولة، بل يطمح إلى تحديد المكونات الأساسية للظواهر"[24]، فهو بذلك حاول تغيير الفكر العربي في معاينة الثقافة والإنسان والشعر، ونقله من فكر تطغى عليه العوامل الخارجية إلى فكر ذو رؤية معقدة بعيدا عن أيّة ظواهر معزولة من أجل أن يقدم مشروعا نقديا نهضويا متسما بالرؤية العميقة الكلية المعقدة في دراسته للنصوص هذا ما يؤكده في حدثه " عن إغناء الفكر العالمي" من خلال منهج بنيوي مشيرا بحماسة خطابية إلى أنّ الأمة من خلال ذلك المنهج سترقى...إلى المعاصرة الحضارية "[25].

ولعل أهم الدراسات البنيوية في تحليل الخطاب الشعري تكمن في المؤلفين (الرؤى المقنعة) و(جدلية الخفاء والتجلي) لكمال أبو ديب، فتحليله للشعر الجاهلي في كتابه الأول (الرؤى المقنعة) يستند إلى جملة من المعطيات التي ذكرها في مقدمته وهي:

1/ التحليل البنيوي للأسطورة كما طوره كلود ليفي شتراوس في أنثروبولوجيا البنيوية.

2/ التحليل التشكيلي للحكاية كما طوره فلاديمير بروب.

3/ معطيات التحليل اللغوي والدراسات اللسانية والسميائية والبنيوية الفرنسية.

4/ معطيات أساسية في الفكر الماركسي في معرفة العلاقة بين بنية العمل الأدبي والبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية.

5/ تحليل عملية التأليف الشفهي في الشعر والسرد عند ملمان باري وألبرت لورد[26].

يهدف الباحث من عمله هذا إلى بلورة منهج جديد يأخذ من هذه المعطيات السابقة في تحليل مختلف النصوص، فنجده" يميز في حديثه عن البنية القصيدة الجاهلية بين بنية القصائد وحيدة الأبعاد تطغى عليها الذاتية مثل شعر الهجاء والحب وبعض قصائد الخمر والمرثية، وبين بنية القصائد المتعددة الأبعاد"[27]. معنى هذا أنه يحتكم في تحديد بنية أيّة قصيدة من حيث هي أحادية أو متعددة من خلال الغرض الشعري الذي تحتويه.

ولقد حلل في هذا الكتاب مجموعة من القصائد لشعراء جاهليين أمثال: امرئ القيس، زهير بن أبي سلمى، طرفة بن العبد، وعنترة بن شداد ولبيد بن ربيعة إلا أنّ كل قصيدة لها بنية مستقلة تختلف عن غيرها " ونقف في هذه الدراسة عند نموذج معين وتحليله لمعلقة لبيد بن ربيعة لمعرفة نجاعة الأدوات الإجرائية والمستويات التي وقف عندها في تحليل الخطاب الشعري، يبدأ أبو ديب باكتناه وحدة الأطلال ثم يخصص جزءا للعناصر المهمة بنيويا علاقتها بعضها ببعض. وهو يستند في تحليله للقصيدة إلى التحليل البنيوي للأسطورة لليفي شتراوس، ويتحدث عن البنية الأسطورية للقصيدة"[28]. فهو يبدأ تحليله بالإشارة إلى نمو القصيدة من خلال تدرجها من وصف الديار إلى صورة النساء الراحلات مع الناقة ليعود الشاعر إلى إصراره على قطع علاقته مع حبيبته " وهو يقف في تحليله للقصيدة عند الثنائيات فيشير إلى أنّ القصيدة تنمو عبر الثنائيات الضدية اللفظية، ويضع قائمة لهذه الثنائيات التي تقوم على التضاد والمزاوجة مثل: محلها فمقامها، حلالها وحرامها، ظباؤها ونعامها، نؤيها وثمامها، سومها وسهامها، إرضاعها وفطامها...إلخ ويرى أبو ديب أنّ هذه الثنائية تمثل رؤيا الشاعر للوجود باعتباره مكونا من ثنائيات تمثل رؤيا الشاعر"[29]. وفي ضوء هذا التحليل إهمال للمستوى الصوتي والصرفي والنحوي والتركيز على الدلالة، ومن ثمة أين هو دور الإيقاع والصورة الشعرية

في بناء القصيدة؟ فهو يركز على العلاقات بين مكونات القصيدة وعلاقتها بالرؤيا دون اهتمام بالبنية من حيث هي تعبير جمالي مخصوص يكشف عن خصوصية الرؤيا.

الهوامش والإحالات:

[1] شكري عزيز ماضي، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984، ص166.

[2] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر، الجزائر، ط3، 2010، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص72، 73.

[4] بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص73.

[5] إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011، ص226.

[6] محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د،ط)، 2003، ص35.

[7] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص7.

[8] وردة عبد العظيم عطا الله قنديل، البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، رسالة ماجستير، أدب ونقد، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010، ص192.

[9] إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ص228.

[10] محمد مكاكي، التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2014، ص45.

[11] إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ص229، 230.

[12] بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، ص76.

[13] المرجع نفسه، ص75، 76.

[14] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللألسنية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، قسنطينة، (د، ط)، 2002، ص221.

[15] سامية راجع، إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين، مجلة الأثر للآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الخامس، 2006، ص213.

[16] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص7.

[17] سامية راجع، إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين، ص213.

[18] المرجع نفسه، ص213.

[19] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، دار العربية للكتاب، الأردن، ط1، 1998، ص6.

[20] نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص44.

[21] ينظر: فائق مصطفى وعبد الرضا في النقد الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب، بغداد، (د، ط)، 1989، ص182.

[22] كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي _دراسات بنيوية في الشعر_، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1979، ص7.

[23] الرشيد بوشعير، مفارقة الخفاء ةالتجلي في ثنائية أظاليل طلح المنتهى لعبد الحفيظ الشمري، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول والثاني، رقم المجلد 24، 2008، ص82.

[24] كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، ص8.

[25] سعد البازغي، استقبال الآخر—الغرب في النقد العربي الحديث-، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004، ص187، 188.

[26] ينظر: كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1982، ص6.

[27] المرجع نفسه، ص48.

[28] ينظر: كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، ص 51.

[29] المرجع نفسه، ص90، 91.

قائمة المصادر والمراجع:

(1) إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011.

(2) بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

(3) الرشيد بوشعير، مفارقة الخفاء ةالتجلي في ثنائية أظاليل طلح المنتهى لعبد الحفيظ الشمري، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول والثاني، رقم المجلد 24، 2008.

(4) سامية راجع، إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين، مجلة الأثر للآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الخامس، 2006.

(5) سعد البازغي، استقبال الآخر—الغرب في النقد العربي الحديث-، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004، ص187، 188.

(6) شكري عزيز ماضي، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984.

(7) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.

(8) عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، دار العربية للكتاب، الأردن، ط1، 1998.

(9) فائق مصطفى وعبد الرضا في النقد الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب، بغداد، (د، ط)، 1989.

(10)كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي _دراسات بنيوية في الشعر_، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1979.

(11)كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1982.
(12) محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د،ط)، 2003.
(13) محمد مكاكي، التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2014.
(14) وردة عبد العظيم عطا الله قنديل، البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، رسالة ماجستير، أدب ونقد، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010.
(15) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر، الجزائر، ط3، 2010.